سهير متولى

هوايات ومعارف

# من عمق البحار
# الهمس بالأسرار

الناشر



الرسوم الداخلية والغلاف : - إبراهيم سمرة

تصميم الغلاف والإخراج الداخلى :- سناء قيشاوى

رقم الإيداع :-٨٤٧٠/٩٨

الترقيم الدولى :-0-399-276-977

وقف الإنسانُ الأولُ منذُ ملايينِ السنينَ وأمامَه البحرُ بغموضِهِ واتساعِهِ، وبخطواتٍ مرتعشةٍ اقترب منه، يريدُ أن يعرفَ متى سيكفُّ عن قذفِ أمواجِهِ التى لا تنتهى؟ وربما تساءل: متى سيستريحُ من هذا العملِ المَضنى المستمرِّ؟

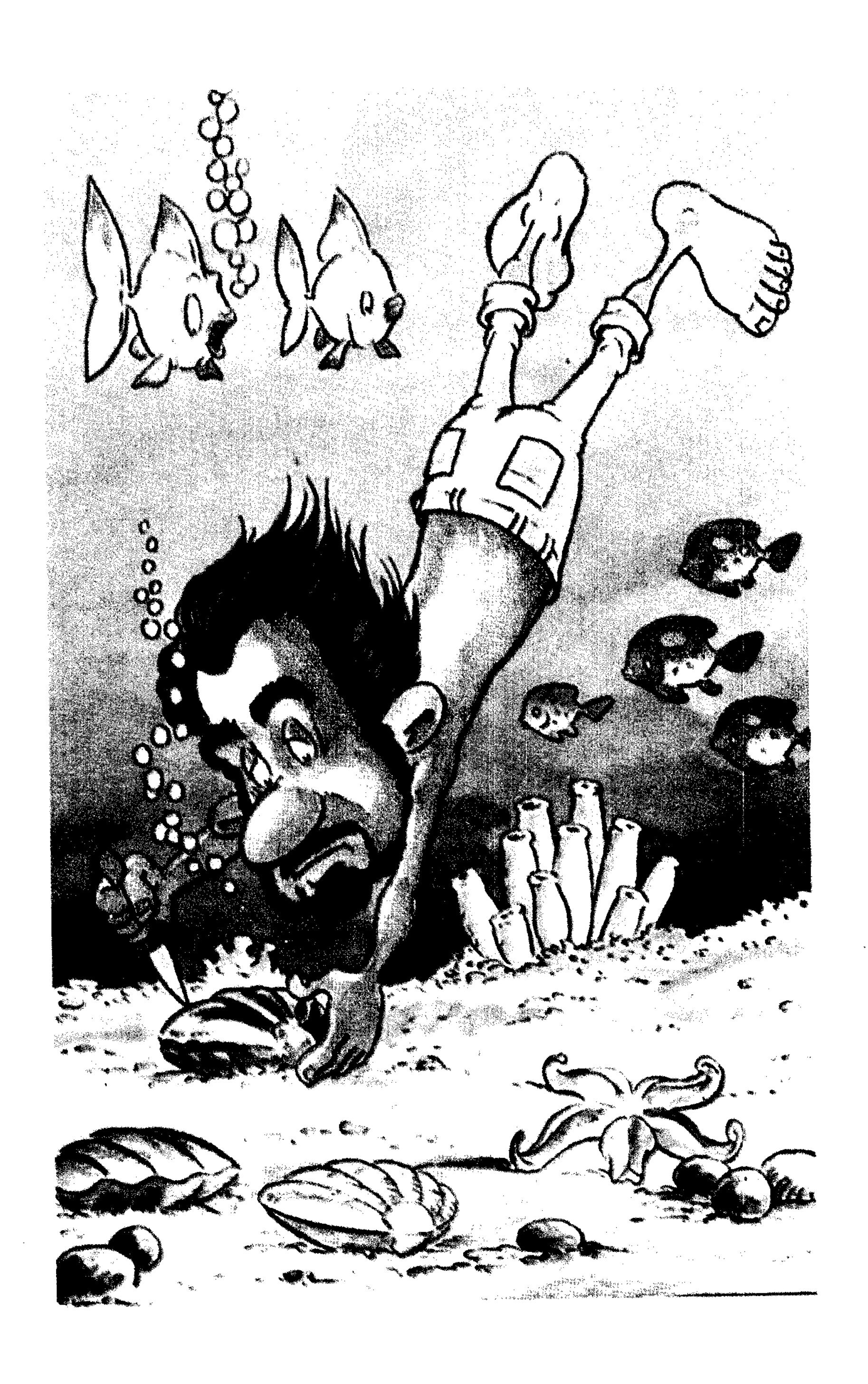
اقترب أكثرَ فوجد على الرمالِ الناعمةِ أشياءَ جميلةً مزخرفةً لايعرفُها ولم يَرَهَا من قبلُ، أشياءَ غامضةً آتيةً من أعماقِ البحرِ الغامضِ، ربما تغلَّبَ حبُّ الاستطلاعِ لدى الإنسان القديمِ الذى كان يخطو بخطواتٍ بطيئةٍ نحو المعرفةِ على خوفِهِ من غموضِ تلك الأشياءِ فاقترب منها، فلم يكنْ ممكنًا أن يراها على شاطئِ البحرِ ولا يقتربَ منها ولا يحاولَ الإمساكَ بها ليعرفَ ماهيَّتَهَا، وربما قَلَّبَهَا بعصا فى أولِ الأمرِ، ثم تجرَّأَ ولمسها بطرفِ إصبعِهِ، وعندما تأكد من أنها لا تهدِّدُهُ أمسكها بكفِّه وقلَّبها علَّها تبوحُ له بسرِّهَا.

هل يا تُرَى وضعها أيضا على أُذُنِهِ فازدادت غموضًا بتلك الوشوشاتِ العجيبةِ التى لم يفهَمْهَا؟

لم تكنْ تلك الأشياءُ الغامضةُ سوى القواقعِ والأصدافِ والمحارِ التى لم تنقطعْ علاقةُ الإنسانِ بها، وظلَّتْ يشوبُهَا الغموضُ والتنوُّعُ حتى وقتِنا هذا.

وقبل أن نتحدَّثَ عن غموضِهَا، فَلْنَتَحَدَّثْ عَمَّا باحَتْ به من أسرارٍ على أيدى علماءِ الحفرياتِ الذين قالوا لنا عنها الكثيرَ.

قال العلماءُ: إن الغالبيةَ العظمى للأصدافِ تنتمى إلى مجموعةٍ ضخمةٍ تسمى "الرخوياتِ"، وهى حيواناتٌ ذاتُ أجسامٍ ملساءَ،



لها قـدمٌ عضليَّـةٌ، تفرزُ مادةً لزجةً تنزلقُ عليها تلك القدمُ فتتحرَّكُ بسـهولةٍ، أما غذاؤُهَا فهـو النباتـاتُ، وهـى تقـومُ بتنـاول طعامِهَا بطريقـةٍ طريفـةٍ، إذ تقـومُ بحكٍّ أطرافِ النباتاتِ بلسانِهَا الذى يشبهُ المبردَ، وبذلك تنتزعُ قطعًا صغيرةً من النباتاتِ وتلتهمُهَا.

تُعْـرَفُ "الرخويـاتُ" بأسـماءَ كثـيرةٍ منهـا المحـارُ والقواقـعُ والحلزونـاتُ والمحـارُ ذو الصدفتَيْـن كـأُمِّ الخُلُـول ومحـار اللؤلـؤ. أما الأصدافُ أو الجسمُ الخارجيُّ فَهى صُلْبَةُ التكوينِ، ولَا تتحلَّلُ كمـا تتحلَّـلُ أنسـجةُ الكائنـاتِ الحيةِ الأخرى، وذلك لأنها تتكوَّنُ مـن مـادةٍ جيريـةٍ مختلطـةٍ بمـوادَّ كيميائيـةٍ أخـرى تمنحُهَـا هـذه الصلابةَ.

تنمـو الأصـدافُ المصراعيـةُ مـن منطقـةِ قمـةِ المصـراعِ وهـى المنطقـةُ التـى يلتقـى فيهـا كـلُّ مصـراعٍ بـالآخَرِ، ولا ينفصـلان عنـد فتـحِ الصَّدَفَـةِ. تظـلُّ الصدفـةُ تنمـو للخـارجِ وتكـبرُ، ونسـتطيعُ ملاحظةَ خطـوطِ نموِّهَا الدائريةِ على الصدفةِ. أما الجسمُ الرخوُ، فهو يكمنُ داخل صدفَتِهِ فى حالةِ الخطرِ، ويطلُّ منها حين يشعرُ بالأمـان ليتنـاولَ طعامـهَ. فالصدفـةُ إذَنْ هـى بيتُ الحيـوانِ الآمِـنِ، كما أنهَا قبرُهُ الذى يموتُ فيه!

أما اللآلىءُ فهى أغربُ وأندرُ وأغلى المحاراتِ على الإطلاق، ويتكوَّنُ اللؤلؤُ داخلَ المحارةِ إذا دخلَ جسمٌ غريبٌ - قد يكونُ مجـردَ حبـةِ رمـلٍ واحـدةٍ - داخـلَ المحارةِ التى تدافعُ عن نفسِهَا ضدَّ هذا الإفرازَ طبقةً فوقَ طبقةٍ حتى تتكوَّنَ اللؤلؤةُ البراقةُ غاليةُ الثمـنِ، والتـى يُعَـدُّ امتـلاكُ واحـدةٍ منهـا مطمعًـا لمحبِّـى امتـلاكِ النفائسِ.

كـان صيـدُ اللؤلـؤ هـو الحرفـةَ الشـائعةَ فـى دول الخليـج العربىِّ قديمًا، وبعد اكتشافِ البترول تراجعَتْ تلك الحرفةُ حتى صارت جـزءًا مـن تـراثِ الأجـدادِ، كَمـا أصبحـت تقـامُ لهـا المهرجانـاتُ ليتعـرفَ الجيـلُ الجديـدُ علـى جـانبٍ مـن حيـاةِ الآبـاء والأجـدادِ، وعلـى ملمـحٍ مـن ملامـحِ حيـاتِهمُ القاسـيةِ. كمـا يوجـدُ اللؤلـؤُ فـى الهندِ، كما توجدُ منه أنواعٌ أخرى تعيشُ فى المياهِ الهادئةِ للبحارِ الدافئةِ فى جميعِ أنحاء العالم. وبعد أن استطاعَ العلماءُ اكتشافَ تلك الطريقةِ العبقريةِ التى يدافعُ بها المحارُ عن نفسِهِ ضدَّ الغرباء فتتكوَّنُ اللؤلؤةُ، تمكَّنُوا من ابتكارِ طريقةٍ لصناعةِ اللؤلؤِ الصناعىِّ وهـى طريقـةٌ معقـدةٌ، ولكـى تتكـوَّنَ لؤلـؤةٌ واحـدةٌ داخـلَ المحـارةِ يتطلَّبُ الأمرُ سَبْعَ سنواتٍ كاملةٍ.

ومـن الأصـدافِ المصراعيـةِ مـا يؤكـلُ "كـأُمِّ الخلول" والصدفِ البحـرىِّ والمحـارِ، كمـا تُرَبَّـى القواقـعُ فـى مـزارعَ خاصَـةٍ ليتغـذَّى عليها الإنسانُ، وهى تُعَدُّ من الوجباتِ الشائعةِ فى الكثيرِ من دولِ العالمِ خاصةً فرنسا.

ولا يقتصـرُ الأمـرُ علـى القواقـعِ البحريـةِ فَقَـطْ، فهنـاك القواقـعُ البريـةُ التى قد نَرَاهَا حَوْلَالأشجارِ والمزروعاتِ، وقد تجدُ بعضَها وَسْطَ بعضِ الخضراواتِ بالأسواقِ.

تنـامُ هـذه القواقـعُ فـى الشـتاء فيمـا يُعْـرَفُ "بالبيـاتِ الشـتوىِّ"، فتدخـلُ محاراتَهَـا وتغلـقُ أفـواهَ أصدافِهَـا بغشـاء مخـاطىٍّ مختلـطٍ بالطباشير ليصبحَ بابًا منيعًا صُلْبًا ضدَّ أعدائِهَا ويَتيحُ لها النومَ فى هدوءٍ أيضًا.

ومـع حلـولِ الربيـعِ الـذى تشـعرُ بـه القواقـعُ بطريقـةٍ لا نعلمُهـا؛

يبـدأُ القوقعُ فى إفرازِ مخاطٍ حامضىٍّ يذيبُ البابَ المنيعَ، فتنفتحُ الصدفـةُ ويخـرجُ القوقـعُ ليتنـاولَ أولَ طعـامٍ لـه بعـد فـترةِ البيـاتِ الشتوىِّ.

ولا تتصـوَّرْ أن القوقعَ يصمدُ دائمًا داخلَ صدفَتِهِ ضدَّ الأعداء، فها هو ذا طائرُ السمان يبحثُ عن طعامِهِ المفضَّلِ اللذيذِ المتمثِّل فـى الحيـوانِ الرخـو الموجـودِ داخـلِ الصدفـةِ، وحيـن يجدُه ينقضُّ عليه ليلتهمَهُ، ولكنَّ الصدفةَ الصلبةَ تقفُ مانعًا أمامَه، فيتعاملُ معه بطريقـةٍ مـاكرةٍ جـدًّا، إذ يمسـكُ الصدفـةَ بمنقارِهِ ويظلُّ يقذفُ بها إلى حجرٍ صُلْبٍ حتى تنكسرَ ويلتهمَ الحيوانَ الموجودَ بداخلِهَا.

هـذه المعلومـاتُ عرفناهـا من العلماء الذين انكبُّوا على دراسةِ تلـك الحيوانـاتِ لأعـوامٍ طويلـةٍ، ولكـنَّ الإنسـانَ القديـمَ لـم يكـنْ يعـرفُ مـا هذه الكائناتُ على وجهِ التحديدِ، لذا فقد استبدَّتْ به الرهبةُ والدهشةُ منها فنسج حولها الأساطيرَ، فالأساطيرُ الإغريقيةُ تحكـى أن "فينـوس" ربـةَ الجمـالِ قـد خرجـت مـن قوقعـةٍ، وفـى العصـورِ القديمـةِ اسـتخدمت القواقـعُ عملـةً كمـا نسـتخدمُ نحـنُ النقودَ الآنَ.

كمـا اسـتخدمتها بعـضُ القبـائلِ البدائيـةِ آلاتِ نفخٍ وأبواقًـا، لـذا نستطيعُ جعلَها أولى الآلاتِ الموسيقيةِ.

وفـى المجتمعـاتِ الصينيـةِ القديمـةِ اسـتخدِمَتِ القواقـعُ تمـائِمَ تدفـنُ مـع المَوْتَـى، وكـان الإمـبراطورُ ينالُ أجملَ وأكبرَ قدرٍ منها بـالطبعِ. وتظـلُّ الأعـدادُ تتنـاقصُ حسـب المكانـةِ الاجتماعيـةِ للمتوفَّى، أما عامةُ الشعبِ فيتمُّ معهم استبدالُ القواقعِ بحبَّاتٍ من



الأرز.

كما كان البحارةُ قديمًا يثبتونها فى مقدمةِ مراكبهمْ تفاؤُلاً بها، واعتقادًا منهم بقدرَتِهَا على مساعدتِهِمْ وحمايتِهِمْ من الأخطارِ.

كما استخدمها السحرةُ قديمًا فى طقوسِهِمُ السحريةِ، وصنعوا منها عقودًا يرتدونها ليزيدُوا عملَهم غموضًا على غموضٍ.

كما ألهمت الإنسانَ ليبتكرَ الدروعَ ليحمِيَ نفسَه فى المعاركِ.

ولا تَنْسَ عندَنا فى مصرَ "ضاربةَ الودع"، تلك المرأةُ الآتيةُ من صعيدِ مصرَ، مرتديةَ الجلبابَ الأسود والطرحةَ السوداءَ، وعلى ذَقْنِهَا وَشْمٌ، أخضرُ، وتحملُ على رأسِهَا "قُفَّةً" بها رملٌ ومنديلٌ وبعضُ القواقعِ التى تسميها "الوَدَعَ" وتدَّعِى معرفةَ الغيبِ – الذى لا يعلمُه إلا اللهُ – فتستغلُّ رغبةَ الإنسانِ فى معرفةِ الغيبِ، ولكنها تتسوَّلُ بطريقةٍ مبتكرةٍ.

ومثلُها دراويشُ القُرَى الذين يجوبون دروبَهَا وأزقَّتَهَا، يرتدون الملابسَ الرثَّةَ وعلى صدورِهِمْ عقودُ القواقعِ والوَدَعِ والسِّبَحِ يتسولون بهذه التشكيلةِ من الإكسسواراتِ الغامضةِ والكلامِ الغامضِ.

أما استخدامُ الإنسانِ للقواقعِ فى الزينةِ، فقد كان منذُ القدمِ ومازال، فالنساءُ تفنَّنَّ فى استخدامِهَا عقودًا وتيجانًا وخواتمَ وأساورَ لجمالِ زخارفِهَا وتنوُّعِهِ.

أَمَّا الآنَ فهى تستخدمُ ديكورًا بالمنازلِ، فى أشغالٍ بسيطة جدًّا، ولكنَّ نتائِجَهَا غايةٌ فى الجمالِ.



فلكى تقومَ بعملِ "أباجورةٍ" مثلاً، قُمْ بعملِ هيكلٍ لها من السلك أو تستطيعُ استخدامَ أباجورةٍ قديمةٍ لديك لم يَعُدْ قماشُهَا جميلاً وتريدُ تغييرَه. ثم الصقِ القواقعَ على هذا الهيكلِ بمادةٍ لاصقةٍ قويةٍ، وسوف تستمتعُ بضوءٍ غيرِ مباشرٍ ينبعثُ من خلالِ الثقوبِ الموجودةِ بين القواقعِ غايةً فى الروعةِ.

كما يمكنُكَ عملُ هيكلٍ لعلبةِ المناديلِ الورقيةِ بها فتحةٌ علويةٌ لإخراجِ المناديلِ، قُمْ بلصقِ القواقعِ أو الأصدافِ على الهيكلِ حتى يُغطَّى كليةً، وستحصلُ على قطعةِ ديكورٍ مبتكرةٍ بمنزِلِكَ.

ولم تقفْ إبداعاتُ الإنسانِ الباحثِ عن الجمالِ دائمًا عندَ حَدٍّ، فها هى تلك براويزُ الصورِ والمراياتِ تستطيعُ استبدالَ خشبِهَا بالقواقعِ التى تُلْصَقُ على الإطارِ الخارجيِّ لها، فتعطى جمالاً مختلفًا ببراويزِ أشكالِ القواقعِ وتنوعِهَا.

كما استخدم الإنسانُ القواقعَ فى عملِ ديكوراتٍ مصاحبةٍ فى أحواضِ أسماكِ الزينةِ عن طريقِ وضعِهَا فى قعرِ الأحواضِ مع بعضِ الرمالِ والحصى والنباتاتِ المائيةِ، فيبدو حوضُ أسماكِ الزينةِ كقطعةٍ من أعماقِ البحارِ الحقيقيةِ.

كما استخدمها البعضُ مع الصخورِ الملونةِ وقطعِ الحصى أرضيةً وتربةً للنباتاتِ المائيةِ التى تستطيعُ وضعَهَا وتنميتَها داخلَ منزِلكَ بسهولةٍ، فتستطيعُ إحضارَ حوضٍ زجاجيٍّ تضعُ فيه تلك التربةَ المتنوعةَ، ثم تضعُ نباتَكَ المائىَّ فيها فتحصلُ على قطعةِ ديكورٍ جميلةٍ كلُّها موادُّ طبيعيةٌ.

كما لا تَنْسَ هؤلاء الذين يقومون بلصقِ الأصدافِ المتنوعةِ



على أُصُصِ النباتاتِ المنزليةِ المتنوعةِ، وهى مسألةٌ سهلةٌ وبسيطةٌ للغايةِ، ولنَ تحتاجَ لإنجازِهَا إلا لمادةٍ لاصقةٍ قويةٍ، وخيالٍ متحررٍ لتبدعَ ما تريدُ من أشكالٍ تغطى بها أصصَ النباتاتِ.

وبالقواقع – خاصةً ذاتَ المصراعين التى تشبهُ أوراقَ الوردِ – تستطيعُ عملَ صحبةٍ من الوردِ الجميلةِ عن طريقِ لصقِ القواقعِ واحدةً تلوَ الأخرى من المنطقةِ الضيقةِ، وعليكَ فقط ألاَّ تقومَ بلصقِ قوقعةٍ بأخرى إلا حين تتأكدُ من تماسكِ وجفافِ المادةِ اللاصقةِ على ما لصقتَ من قبلُ. وهكذا تكتملُ وردتُكَ بتماسكٍ وقوةٍ.

وبالقواقعِ المختلفةِ الأشكالِ والأحجامِ تستطيعُ عملَ حيواناتٍ وسياراتٍ ومنازلَ وما شئتَ من أشكالٍ، وكلُّها تعتمدُ على قدرَتكَ فى إبداعِ وتوليفِ الأشكالِ المختلفةِ من القواقعِ لتكوِّنَ الشكلَ النهائىَّ لما تريدُ.

لاحظتَ أن أغلبَ الأشغالِ الفنيةِ قد استخدمنا فيها القواقعَ عن طريقِ مادةٍ لاصقةٍ لتشكيلِ ما نريدُ، ولكننا أيضا نستطيعُ عملَ الكثيرِ من الأشغالِ الأخرى عن طريقِ عملِ ثَقْبٍ صغيرٍ فى هذه القواقعِ إما من الأطرافِ، أو فى منتصفِهَا، ثم نقومُ بلضمِ هذه القواقعِ معًا بخيطٍ من النايلون ونكوِّنُ ما شئنا من العقودِ أو التيجانِ أو الأساورِ والحلقانِ التى تُقْبِلُ عليها الفتياتُ جدًّا.

كما تستخدمُ القواقعُ الصغيرةُ كأزرارٍ للملابسِ تمنحها الجمالَ والجاذبيةَ.

وحتى تعلمَ أن الأشكالَ الفنيةَ المستخدمَ فيها القواقعُ

والأصدافُ والمحارُ كَمْ هي متعددةٌ ومتنوعةٌ، عليك بزيارةِ المعارضِ الفنيةِ التي تقامُ خصيصًا لتلك الأعمالِ.

أما هوايةُ جمعِ القواقعِ، فهي هوايةٌ قديمةٌ جدًّا، ولا تتصوَّرْ أن ما تجمعُه وتحملُه معكَ من قواقعَ عند عودتِكَ من أحدِ الشواطيءِ ثم تضعُه بأحدِ أدراجِ مكتبِكَ ثم تنساهُ هو ما نقصدُه هنا بهوايةِ جمعِ القواقعِ.

فلكَيْ تكونَ جامعًا للقواقعِ، عليك أن تجمعَ القواقعَ الكاملةَ، واعلمْ أن ما قد تحصلُ عليه من شواطيء البحارِ، قد لا يكون كاملاً، خاصةً القواقعَ المصراعيةَ، فأغلبها قد قذفته الأمواجُ على الشاطيء بعد انكسارِ محاراتِهَا. لذا تجدُ الكثيرَ منها ذا مصراعٍ واحدٍ، وتلك ليستَ كاملةً، يمكنُكَ جمعُهَا لتستخدمَها في الأشغالِ الفنيةِ.

أما القواقعُ الكاملةُ والنادرةُ والجميلةُ، فلكي تحصلَ عليها لا تقفْ بعيدًا عن الماءِ، بل توغَّلْ قليلاً فيه، وبواسطةِ جاروفِ الشاطيء قُمْ بجرفِ بعضِ الرمالِ ثم ضَعْهَا في مصفاةٍ واغْسِلْهَا، كَرِّرْ هذه العمليةَ وستحصلُ على بعضِ القواقعِ الكاملةِ.

ومن الأماكنِ المقترحةِ التي يمكنُكَ الحصولُ منها على القواقعِ الشواطيءُ الصخريةُ، وبجوارِ الأعشابِ البحريةِ.

ها قد حصلتَ على بعضِ القواقعِ الكاملةِ، تستطيعُ رؤيةَ الحيوانِ الرخوِ الموجودِ بداخِلِهَا. إذا كنتَ من هواةِ الاحتفاظِ بالأحياءِ المائيةِ محفوظةً عندَكَ في موادَّ حافظةٍ، تستطيعُ وضعَ بعضِ القواقعِ بحيوانِهَا الداخليِّ في الكحولِ أو مادةِ الفورمالينِ،

ولا تَنْسَ أن تكتبَ على الوعاءِ تاريخَ اصطيادِ هذا القوقعِ ومن أيِّ الشواطىءِ قمتَ بصيدِهِ.

أما إذا كنتَ ترغبُ فى جمعِ القواقعِ دونَ حيوانِهَا الرخوِ الداخلىِّ، فَقُمْ بوضعِ القواقعِ فى ماءٍ يغلى لتتخلّصَ منه، كما يمكنُكَ استخراجُه من القواقعِ الحلَزونيةِ الضيقةِ باستخدامِ ملقاطٍ.

قُمْ بعدَ ذلك بترتيبِ قواقعِكَ فى صندوقٍ ولصقِهَا بداخِلِهِ على أن ترفقَ بها بطاقةً تكتبُ عليها تاريخَ جمعِ هذه القواقعِ، ومن أىِّ الشواطىءِ جمعتَهَا، وتستطيعُ أيضا أن تذكرَ أين وجدتَها، وكيف قمتَ بصيدِهَا.

وعليك الاطلاعُ على الموسوعاتِ التى تتحدَّثُ عن أنواعِ القواقعِ لتعرفَ نوعَ قواقعِكَ وَاسْمَهَا العلمىَّ، كما يمكنُكَ بالاطلاعِ عقدُ مقارنةٍ بين ما جمعته من شاطىءٍ وآخرَ.

وقد تستطيعُ الحصولَ على بعضِ القواقعِ الجميلةِ أو النادرةِ والتى يقبلُ على اقتنائِهَا هواةُ جمعِ القواقعِ، وهى تباعُ بمبالغَ مرتفعةٍ.

كما يمكنُكَ زيارةُ المتاحفِ البحريةِ لترى بنفسِكَ أن أنواعَ وأشكالَ وأحجامَ وزخرفاتِ وألوانَ تلك الكائناتِ الجميلةِ كم هى متعددةٌ ومتنوعةٌ!

وأخيرًا مازال الأطفالُ الصغارُ يلهون على الشواطىءِ بجرادِلِهِمُ الملونةِ الجميلةِ، يجمعون فيها الأصدافَ والقواقعَ والمحارَ ويضعونها على آذانِهِمْ ويستمعون لِوَشْوَشَتِهَا، ويتصورون أنفسَهم

بحـــارةً يجوبــون البحـــارَ ويصــارعون الأمــواجَ، فينطلــقُ خيــالُهم كالنوارسِ البيضاءِ فوقَ سطحِ البحرِ الغامضِ.